



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

لَمَ على تركيا البقاء خارج سنجار

نسيبة يونس

ترجمة وتحرير مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلّ، غيرُ ربحيّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تهّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2021

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

لم على تركيا البقاء خارج سنجار

نسبية يونس *

هناك قلق متزايد في العراق من احتمالية وقوع غارة عسكرية تركية لدفع حزب العمال الكردستاني إلى الخروج من سنجار، وهي المنطقة المتنازع عليها في شمال البلاد. والواقع أن خطوة كهذه من شأنها أن تؤدي إلى نتائج عكسية إلى حد كبير. ومن المؤكد أن هذه الخطوة ستؤدي إلى حدوث نتائج عكسية، ومن شأنها أن تضعف رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي، الذي يسعى من أجل تنفيذ إصلاحات سياسية واقتصادية عاجلة. وإن هذه الخطوة تعزز الموقف السياسي والعسكري لوحدة الحشد الشعبي وغيرها من الجماعات المسلحة، وتلحق الضرر الشديد بالعلاقة التركية-العراقية. ومن غير المرجح أن تحقق هذه العملية مكاسب دائمة ضد حزب العمال الكردستاني؛ نظراً للمقاومة الكبيرة التي ستواجهها القوات التركية من الجماعات المسلحة الموالية لإيران في المنطقة. وعلى هذا فيتعين على الدول الأوروبية أن تحذر الحكومة التركية من مخاطر التوغل في سنجار، في حين تضغط على بغداد لتكثيف جهودها لإعادة فرض سيطرتها على المنطقة.

وقد أنشأ حزب العمال الكردستاني قاعدة في سنجار في عام 2015 بعد عام من مساعدتها للأيزيديين بالهروب من زحف تنظيم داعش الإرهابي في المنطقة. ويصنف الاتحاد الأوروبي الحزب بمنظمة إرهابية تحارب تركيا سعيًا وراء الحقوق الكردية منذ عام 1984. وقد سعى حزب العمال الكردستاني إلى دمج نفسه في المجتمع الأيزيدي، إلا أن وجوده في سنجار كان موضع انتقادات حادة من الجانب التركي -الذي يعدّه مصدر تهديد خطير لأمن تركيا الوطني- وإن وجوده شكّل تحدياً للحكومة الاتحادية العراقية والسكان المحليين.

تعدّ سنجار إحدى المناطق العراقية التي يتنازع على ولايتها كلاً من الحكومة الاتحادية في بغداد وحكومة إقليم كردستان. واشتد نزاعهم حول السيطرة عليها في أعقاب توغل داعش في العراق عام 2014، وبعد ذلك عزز كل من الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب العمال الكردستاني نفوذهم على السياسة والأمن في المنطقة. ومع ذلك، اضطر الحزب الديمقراطي الكردستاني إلى الانسحاب من المنطقة في تشرين الأول عام 2017، في أعقاب رد عسكري اتحادي على استفتاء استقلال

* زميل زائر في المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية. وهي خبيرة في السياسة العراقية وقائدة فريق من ذوي الخبرة في قطاع التنمية مع خبرات في الحكم والوساطة السياسية وتحقيق الاستقرار وادماج الشباب ومكافحة التطرف العنيف.

كردستان. ومنذ ذلك الحين، سيطرت مجموعة من قوات الحشد الشعبي -الجماعات المرتبطة بحزب العمال الكردستاني وإيران- على الأمن في المنطقة.

سعى اتفاق سنجار، الذي وقعته الحكومة الاتحادية العراقية وحكومة إقليم كردستان في 10 تشرين الأول 2020، إلى إخراج حزب العمال الكردستاني من المنطقة واستعادة سيطرة القوات الاتحادية العراقية، بما في ذلك اللجنة التي تشرف على تواجد قوات الحشد الشعبي. وكان الاتفاق انتصاراً سياسياً للكاظمي؛ لأنه حصل على موافقة رسمية من حكومة إقليم كردستان لإعادة تأكيد سلطة الحكومة الاتحادية في بغداد على المنطقة. بيد أن بغداد وجدت صعوبة في تنفيذ التغييرات المنشودة في البنية التحتية الأمنية المحلية. ويرجع ذلك جزئياً إلى أن حزب العمال الكردستاني قد دمج نفسه في وحدات مقاومة سنجار -قوة الأمن الأيزيدية التي كانت مرتبطة رسمياً بحزب العمال الكردستاني منذ عام 2015- وما تزال تعمل إلى حد كبير خارج سيطرة الحكومة المركزية.

لقد أصيبت أنقرة بالإحباط؛ بسبب عدم إحراز بغداد لأي تقدم في إخراج حزب العمال الكردستاني من سنجار، معتبرةً أن تعزيز وجود الجماعة في المنطقة يعدّ تهديداً صريحاً لمصالحها الأمنية في الداخل وفي العراق وسوريا. كانت تركيا قلقة بنحو خاص من أن وجود حزب العمال الكردستاني في سنجار يوفر عمقاً استراتيجياً لحزب العمال الكردستاني من خلال ربط عمليات المجموعة في شمال شرق سوريا بقدراتها في تركيا وفي جبال قنديل العراقية. سعى وزير الدفاع التركي خلوصي أكار -خلال زيارته للعراق في 20 كانون الثاني- للحصول على موافقة بغداد على العمليات التركية لطرد حزب العمال الكردستاني من سنجار، قائلاً: "لقد أعربنا مراراً وتكراراً عن أن قتالنا ضد حزب العمال الكردستاني سيستمر حتى يتم القضاء على آخر إرهابي فيه". بعد يومين من الرحلة، حذر الرئيس التركي رجب طيب أردوغان من أن تركيا قد تغزو سنجار "بين عشية وضحاها"، على الرغم من أنه وصف هذا التدخل أيضاً بأنه عملية مشتركة مع العراق.

ومن غير المرجح على الإطلاق أن توافق الحكومة العراقية على عملية عسكرية عراقية تركية مشتركة ضد حزب العمال الكردستاني في سنجار؛ لأن هذا سيعدّ إهانة للقدرة العسكرية العراقية وانتهاكاً لسيادتها. وفضلاً عن ذلك، لا ينظر إلى تركيا على أنها جهة سياسية فاعلة محايدة في العراق، وكثيراً ما كانت العلاقات بين البلدين محفوفة بالمخاطر. وقد تسببت العمليات العسكرية التي قامت بها تركيا ضد حزب العمال الكردستاني في الأراضي العراقية منذ أمد بعيد في إثارة الذعر في بغداد. ويخشى زعماء العراق من توسع تركيا ورغبتها في الحصول على المزيد من النفوذ

في السياسة العراقية. ومن الصعب أن نتصور أن الكاظمي سيكون على استعداد لقبول القمع السياسي عقب عملية حدوث عملية عسكرية تركية عراقية مشتركة في العراق لا سيما في الفترة التي تسبق الانتخابات البرلمانية في تشرين الأول 2021.

وعلى الرغم من تردد العراق في الموافقة على العمليات المشتركة في سنجار، فقد تختار تركيا مواصلة عمليات عسكرية أحادية الجانب ضد حزب العمال الكردستاني (بدعم ضمني من حكومة إقليم كردستان)، وفعلت لسنوات في جبال قنديل. وفي 10 شباط، ألقى ضباط المخابرات التركية القبض على رجل في سنجار اتهموه بأنه ضابط لوجستي لحزب العمال الكردستاني، الذي أبرز قدرة تركيا على العمل في المنطقة. وكانت الغارة التركية الفاشلة في منطقة (غارا) العراقية، التي انتهت بإعدام حزب العمال الكردستاني لـ 13 رهينة تركياً، سبباً في إثارة المشاعر في تركيا وزيادة الضغوط على أنقرة لمهاجمة أهداف حزب العمال الكردستاني. وفي أعقاب عمليات الإعدام، أعلن أردوغان أنه "من الآن فصاعداً، لا يوجد مكان آمن للإرهابيين، لا قنديل ولا سنجار أو سوريا".

لقد أثار احتمال حدوث توغل تركي أحادي غضب الجماعات المسلحة المدعومة من إيران في العراق. ففي الأيام الأخيرة، أصدرت عدة وحدات من وحدات الحشد الشعبي جماعات أخرى بما في ذلك منظمة بدر، وعصائب أهل الحق، وأصحاب الكهف، بيانات تتعهد فيها بالدفاع عن سنجار ضد "الغزو" التركي. وبحسب ما ورد، انتشر 10 آلاف عنصر إضافي من الجماعات المسلحة في سنجار في الأسابيع الأخيرة. وادعى أصحاب الكهف مؤخراً أنه نفذ هجمات صاروخية ضد القوات العسكرية التركية في شمال العراق، بينما هدّدت حركة حزب الله النجباء مؤخراً باتخاذ إجراءات ما لم تفعل الحكومة العراقية ذلك. وتشجع إيران هذه الجماعات المسلحة على الانتشار دفاعاً عن سنجار، وتحرص على الحفاظ على هيمنتهم على سنجار؛ بسبب الأهمية الاستراتيجية للمنطقة كنقطة وصول إلى سوريا.

ومن غير المرجح أن تحقق عملية تركية ضد حزب العمال الكردستاني في سنجار أهدافها المتمثلة في طرد الحزب من المنطقة. على الرغم من أن استخدام تركيا لحرب الطائرات دون طيار قد أضعف حزب العمال الكردستاني بشدة في جبال قنديل، إلا أنه لم يدفع الجماعة بنحو حاسم للخروج من المنطقة. وسيكون من الأصعب تحقيق نصر مستدام ضد حزب العمال الكردستاني في سنجار؛ لأن الهجوم التركي على المنطقة سيواجه مقاومة قوية من الجماعات المسلحة المدعومة من إيران.

وهناك القليل من الأدلة على أنه إذا تعاونت تركيا ضمناً مع الحزب الديمقراطي الكردستاني، فإن المجموعة ستكون لديها الرغبة أو القدرة على مواجهة الجماعات المقاتلة الإيرانية المدعومة في سنجار. وحتى حينما أدى الحزب الديمقراطي الكردستاني دوراً عسكرياً وسياسياً بارزاً في سنجار بين عامي 2015 و2017، فقد فشل في إزالة حزب العمال الكردستاني من المنطقة؛ وبالتالي، فإن التوغل التركي الجديد لن يغير ميزان القوى المحلي بما يكفي لتمكين الحزب الديمقراطي الكردستاني من السيطرة على المنطقة.

سيكون للتوغل التركي أحادي الجانب عواقب سياسية وخيمة، ولا سيما وأن العراق يستعد للانتخابات النيابية، من شأنه أن يقوض الانتصار السياسي الذي منحته اتفاقية سنجار للكاظمي، وتحسين صورة وحدات الحشد الشعبي والجماعات المسلحة الأخرى بكونهم مدافعين عن العراق على حساب الحكومة المركزية؛ وعرقلة عودة النازحين اليزيديين المشردين إلى سنجار. وإن العمل العسكري سيضر بنحوٍ خطير بسمعة تركيا في العراق، ويمكن أن يعرقل التقدم في قضايا مثل المحادثات بين الأكراد في سوريا؛ وبالتالي تقوية حزب العمال الكردستاني في البلاد.

وعلى الحكومات الأوروبية أن تعبر بوضوح عن معارضتها للتوغل المحتمل، وأن تؤكد على العواقب السلبية المترتبة لمثل هذه الأفعال. فهم في وضع يسمح لهم بدعم الكاظمي في سعيه إلى تنفيذ اتفاقية سنجار وإعادة فرض سيطرة بغداد على سنجار، التي تظل السبيل الأفضل نحو إضعاف نفوذ حزب العمال الكردستاني في المنطقة.

المصدر:

<https://ecfr.eu/article/why-turkey-should-stay-out-of-sinjar/>